الهجرة من العراق: دراسة نفس-اجتماعية

حوار مع البروفيسور د.حميد الهاشمي
حاوره د.علي عبد الرحيم صالح
ali.salih@gu.edu.iq

يصنف الدكتور حميد الهاشمي ضمن الباحثين الأنثروبولوجيين والاجتماعيين العراقيين الذين قدموا العديد من الإسهامات المحلية والعالمية في علم الاجتماع. يعمل كباحث في جامعة ايست لندن، وأستاذ علم الاجتماع في الجامعة العالمية- لندن، وأستاذ زائر في كلية الآداب- جامعة القادسية. يُعد الدكتور الهاشمي أحد أعضاء هيئة التدريس السابقة في قسم علم الاجتماع في كلية الآداب – زوارة – جامعة 7 ابريل الليبية بين 1994- 1998، وجامعة اوربا- هولندا بين عام 2001-2007، وقد قام بتأسيس وتحرير مجلة علوم إنسانية، وهو أحد أعضاء جمعية العلوم الاجتماعية الهولندية.

إن للهاشمي العديد من البحوث المنشورة باللغتين العربية والانكليزية تتمحور حول الأقليات والهجرة والاندماج الاجتماعي، وقضايا العنف والمرأة والتعليم والفكر والسياسة في العالم العربي. واليوم نحاوره حول الهجرة في العراق، لما لها من أثار اجتماعية ونفسية علمت على زعزعت الأمن الاجتماعي، وتماسك المجتمع، والوزن الديموغرافي للجماعات الفرعية في العراق.

يصنف الدكتور حميد الهاشمي ضمن الباحثين الأنثروبولوجيين والاجتماعيين العراقيين الذين قدموا العديد من الإسهامات المحلية والعالمية في علم الاجتماع. يعمل كباحث في جامعة ايست لندن، وأستاذ علم الاجتماع في الجامعة العالمية- لندن، وأستاذ زائر في كلية الآداب- جامعة القادسية

إن للهاشمي العديد من البحوث المنشورة باللغتين العربية والانكليزية تتمحور حول الأقليات والهجرة والاندماج الاجتماعي، وقضايا العنف والمرأة والتعليم والفكر والسياسة في العالم العربي

س: لماذا ظهرت الهجرة في العراق؟

يتميز العراق بخصائص جعلته وجهة دائمة للهجرات المختلفة، وأهم هذه الميزات هي وجود مصادر المياه الجارية المتمثلة بنهري دجلة والفرات والروافد التي تغذيهما. ما يعني أن العراق أرض خصبة للزراعة والرعي وإقامة سبل الحياة بصورة عامة. يضاف إلى ذلك موقعه المتميز الرابط بين جهات الأرض وأقاليمها الرئيسية التقليدية، التي نشأت فيها الحضارات الرائدة، وتنوع تضاريسه ومناخه. لذلك في ظل وجود هذه الهبات، وعدم وجود حدود طبيعية فاصلة له كما هو الحال في مصر مثلاً التي تحدها الصحاري الشاسعة والبحرين الابيض المتوسط والبحر الأحمر، جعلها وجهة للهجرات والتنوع الاثني والثقافي بضمنه الديني والمذهبي. وهذا التنوع يخلق بالضرورة الصراعات الداخلية ناهيك عن كونه مطمعاً للغزوات المنظمة من دول خارجية سواء مجاورة أو أبعد. بينما الحال في مصر بحكم خصوصيتها أصبحت باستمرار مرجلاً لاندماج بل صهر الأفرد والمجموعات البشرية التي تهاجر إليها. فباتت مصر مُستقر، والعراق ممر إلى حد كبير، بحكم عدم الاستقرار وفق ما ذكرنا أعلاه، وهناك فرق بين أن تكون ماراً، وبين أن تكون مستقراً.!!

يتميز العراق بخصائص جعلته وجهة دائمة للهجرات المختلفة، وأهم هذه الميزات هي وجود مصادر المياه الجارية المتمثلة بنهري دجلة والفرات والروافد التي تغذيهما. ما

س: ما دور الأنظمة السياسية العراقية في الهجرة؟

تقليدياً تقوم السلطة على الاستقطابات أو على العصبية (القبلية مثلاً وفق نظرية ابن خلدون). ورغم ذلك فإن ادارة الدولة قد تطور كما هو معلوم، ونشأ مفهوم المواطنة ليكون بمثابة

رابطة وعصبية للجميع. بمعنى ألا يكون الآخرون مجرد رعايا للسلطة، إنما هناك تساو للفرص، والحقوق والواجبات. وعليه، فإن سوء الإدارة من قبل السلطة، وغلبة التعسف والجُور في الحكم، من المؤكد جداً أن يؤديا إلى الهجرة. إن سوء الإدارة لا يقتصر هنا على مدى العدالة في ممارسة السلطة، إنما عملية التدبير واتباع اساليب واعية في استثمار خيرات البلد. فالعامل الاقتصادي مرهون بالإدارة أيضاً، وليس بمدى توفر الخيرات فقط.

س: هل هناك أكثر من نوع من أنواع الهجرة؟

نعم بالتأكيد، تصنيفات الهجرة متعددة، سيما وفق دوافعها. فهناك هجرة (migration) وتهجير (displacement)، وهجرة مؤقتة بنية العودة إلى الوطن بعد فترة، وهجرة دائمة بقصد الاستقرار الدائم في بلد المهجر. علاوة على ذلك، هناك هجرة قسرية مثلاً (Forced migration)، تقابلها هجرة طوعية، أو هجرة مُخطط لها (Planned migration). وهناك هجرة كفاءات أو ما يسمى بنزيف العقول (brain drain). كذلك يوجد تصنيفات رئيسيا للهجرة هما، هجرة شرعية وأخرى غير شرعية (illegal immigration)، بمعنى دخول البلد بصورة غير قانونية، سواء لأغراض طلب اللجوء أو العمل أو غيرها. وهكذا نجد تصنيفات متعدد للهجرة بحكم ظروفها أو الدوافع من ورائها.

س: هل غيرت الهجرة من خارطة الجماعات ووزنها الديموغرافي؟

بالتأكيد لعبت الهجرة ولازالت تلعب دوراً كبيراً في تغيير البنية الديموغرافية، والاثنية، والتنوع الثقافي، أو التعددية الثقافية (cultural diversity). وسواء كانت هذه الهجرة عن طريق الاستيطان الذي يأتي من خلال الغزو الخارجي، أو موجات النزوح التي تفرض وجودها تدريجياً، وكما يتضح من خلال طابع استمرار التنوع المشار إليه، فإن هذه الهجرات يتطلب وجودها مرحلة زمنية طويلة للاندماج (integration). بينما عملية انصهارها أو ذوبانها (assimilation) في المجتمع الجديد يتطلب وقتاً أطول بكثير إن تحقق.

س: هل تتوقع عودة حركة الهجرة من العراق إلى الخارج؟

الهجرة مرهونة بعوامل الطرد أكثر من عوامل الجذب. فالإنسان بطبعه ميّالٌ للاستقرار، والتمسك ببيئته. ولكن إذاما تكررت الظروف الطاردة في العراق، فإنها حتماً ستدفع بالكثيرين إلى الهجرة. وللتذكير فإن أهم عوامل الطرد هي: التوتر الأمني بمعنى الحروب سواء مع طرف خارجي، أو حرب داخلية، وطابع سلطة تعسفي تغيب فيه العدالة، حيث تكثر الملاحقات الأمنية وتهديد حياة الأشخاص لدواع عدة، وتُسلب فيه حرية الرأي والمعتقد بكل أنواعه بما فيها الديني والمذهبي والفكري. في حين أن الظروف والأزمات الاقتصادية، غالباً ما تكون من بين أهم عوامل الطرد أو دوافع الهجرة. إن حدثت مثل أي من هذه الظروف في العراق، فإنه من المرجح أن تتجدد موجات الهجرة منه.

لكن لو أردنا قراءة الواقع العراقي، لوجدنا أن هناك نيراناً خامدةً، قابلة للاندلاع. وتتمثل هذه بوجود جماعات مسلحة (مليشيات) تحمل السلاح، وتتبنى عقائداً بغض النظر عن مدى تماهيها في النظام السياسي الآن، إلا أنها تنذر بالمزيد من القلق والتشاؤم في الواقع العراقي. فهي يمكن أن تهز استقرار النظام السياسي، وتهدد الحريات المدنية. كما أنها مشاريع لاحتراب داخلي. الشئ

يعني أن العراق أرض خصبة للزراعة والرعي وإقامة سبل الحياة بصورة عامة

تقليدياً تقوم السلطة على الاستقطابات أو على العصبية (القبلية مثلاً وفق نظرية ابن خلدون). ورغم ذلك فإن ادارة الدولة قد تطور كما هو معلوم، ونشأ مفهوم المواطنة ليكون بمثابة رابطة وعصبية للجميع

تصنيفات الهجرة متعددة، سيما وفق دوافعها. فهناك هجرة (migration) وتهجير (displacement)، وهجرة مؤقتة بنية العودة إلى الوطن بعد فترة، وهجرة دائمة بقصد الاستقرار الدائم في بلد المهجر. علاوة على ذلك، هناك هجرة قسرية مثلاً (Forced migration)، تقابلها هجرة طوعية، أو هجرة مُخطط لها (Planned migration).

هناك هجرة كفاءات أو ما يسمى بنزيف العقول (brain drain). كذلك يوجد تصنيفات رئيسيا للهجرة هما، هجرة شرعية وأخرى غير شرعية (illegal immigration)

لعبت الهجرة ولازالت تلعب دوراً كبيراً في تغيير البنية الديموغرافية، والاثنية،

الآخر الذي لا يبعث على الإطمئنان في الواقع العراقي، هو التصعيد الطائفي الذي يتجدد بين فترة وأخرى، وهو ما يهدد السلم المجتمعي. إن هذا التصعيد تغذيه مشاريعٌ سياسيةٌ حسب قناعتي. فهناك طبقة من السياسيين يعتاشون على الانقسام المجتمعي بشكله الطائفي. لذلك نجد قضايا خلافية يتم طرحها من قبل سياسيين، سرعان ما تروج في وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، وتصل حتى إلى فضاءات الرياضة. أحياناً يبلغ التصعيد بها إلى أن تتم دسترتها (شرعنتها دستورياً)، وفرضها أمراً واقعاً. إن هذه المؤشرات تنبئ بأزمات يمكن أن تحدث بأي وقت، ما يعني فتح الباب لهجرات جديدة.

س: ما دور المناخ في الهجرة، وهل يأتي يوم يكون العراق بلا عراقيين؟

من المؤكد أن التغير المناخي (Climate Change) يلعب دوراً كبيراً في الثراء والافقار، والاستقرار والهجرة. وأن التغير المناخي بات هاجساً كبيراً يقلق العالم الواعي بخطره بأسره. فإن تسبب التغير المناخي بكارثة بيئية مثل الفيضانات أو الجفاف، فإنه سوف يتسبب بتدهور سبل العيش والاستقرار بتلك المنطقة، سيما إذا كانت مؤشرات الخطر لازالت قائمة. في حين أن انعدام أو شحة مصادر العيش في تلك المنطقة، سوف يكون دافعاً آخراً للهجرة أيضاً. في الواقع العراقي، لا أعتقد أن التغير المناخي سوف يؤثر على استقرار العراقيين على الأقل في المستقبل المنظور، بحيث يدفعهم قاطبةً إلى ترك البلد.!! فأهم تهديد هو جفاف أو شحة نهري دجلة والفرات أو أحدهما، سوف يتسبب بأزمة كبيرة لاشك، لكنه لن يتسبب بموجة هجرة خارجية لافتة، نتيجة لتنوع مصادره، رغم غياب الحكم الرشيد لدينا. وهنا أدعو بالمناسبة إلى تشكيل جماعات ضغط من نخب المجتمع تمارس دورها الرقابي على السلطة، وتحرض على تقليص موجة الفساد المادي والاداري وسوء ادارة البلد عموماً، وتلغي نظام المحاصصة المتدرجة من الاثنية الى المذهبية إلى الحزبية إلى المناطقية. كما أنه من بديهيات الأمور أن تقوم حملة توعية بضرورة تحديد النسل. فاستمرار نسبة الخصوبة العالية للانجاب يُعتبر مشكلة كبيرة.

في جانب آخر لأوجه دور التغير المناخي في الهجرة، بودي أن أشير إلى أن هجرة أعداد كبيرة من الصابئة المندائيين العراقيين من موطنهم الأصلي في جنوب العراقي إلى مناطق أخرى في داخل أو خارج البلد، من أسبابها نقص المياه (الجارية) والتي تلعب دوراً مهما في ممارساتهم الدينية المتعلقة بالتعميد والأعياد وغيرها.

س: ما هي التأثيرات أو الانعكاسات النفسية والاجتماعية للهجرة على المهاجرين والمجتمع ككل؟

بالنسبة للمهاجرين، فإن التداعيات النفسية والاجتماعية تعتمد بالدرجة الأولى على دافع الهجرة أو ظروفها. فإن كانت اختيارية أو مخطط لها، فإنها ستكون أخف وطأة. كذلك يكون استعداد المهاجر للاندماج في مجتمع المهجر أكبر. بينما يكون العكس على المهاجرين بدواعي قسرية أو لاجئين. فمعروف أن نسبة كبيرة من المهاجرين بصورة غير قانونية (تهريب)، مثلاً أو ممن دفعتهم الظروف الأمنية في بلدانهم إلى الهجرة، يعانون من اضطرابات نفسية أبرزها: اضطراب مابعد الصدمة (Post-traumatic stress disorder)، نتيجة الصدمات النفسية التي تعرضوا لها في بلدانهم او في طريق الهجرة. كذلك قد يعاني البعض من الصدمة الثقافية،

والتنوع الثقافي، أو التعددية الثقافية (cultural diversity). وسواء كانت هذه الهجرة عن طريق الاستيطان الذي يأتي من خلال الغزو الخارجي، أو موجات النزوح التي تفرض وجودها تدريجياً

الهجرة مرهونة بعوامل الطرد أكثر من عوامل الجذب. فالإنسان بطبعه ميّالٌ للاستقرار، والتمسك ببيئته. ولكن إذاما تكررت الظروف الطاردة في العراق، فإنها حتماً ستدفع بالكثيرين إلى الهجرة

أهم عوامل الطرد هي: التوتر الأمني بمعنى الحروب سواء مع طرف خارجي، أو حرب داخلية، وطابع سلطة تعسفي تغيب فيه العدالة، حيث تكثر الملاحقات الأمنية وتهديد حياة الأشخاص لدواع عدة، وتُسلب فيه حرية الرأي والمعتقد بكل أنواعه بما فيها الديني والمذهبي والفكري

من المؤكد أن التغير المناخي (Climate Change) يلعب دوراً كبيراً في الثراء والافقار، والاستقرار والهجرة. وأن التغير المناخي بات هاجساً كبيراً يقلق العالم الواعي بخطره بأسره

أن نسبة كبيرة من المهاجرين

بصورة غير قانونية (تهريب)، مثلاً أو ممن دفعتهم الظروف الأمنية في بلدانهم إلى الهجرة، يعانون من اضطرابات نفسية أبرزها: اضطراب مابعد الصدمة (Post-traumatic stress disorder

أو الاكتئاب (depression) والقلق (anxiety)، لأسباب عدة. ونحن نتكلم هنا عن الانعكاسات السلبية، بينما الايجابية معروفة، تتمثل في تحسين الوضع المادي للمهاجر ولأسرته إذا ما كان ايجابياً وفاعلاً في المهجر. فعلى سبيل المثال بغلت تحويلات المصريين العاملين في الخارج 31.9 مليار دولار عام 2022. فتخيل حجم الانعكاسات على مجتمعهم الأم. في حين أن المجتمع الحاضن (المهجر) يمكن أن يستفيد بشكل كبير من المهاجرين المؤهلين، ومن هم بأعمار شبابية في مختلف المجالات، سيما إذا كان يعاني نقصاً في الكفاءات والأيدي العاملة. بينما هناك أهداف طويلة المدى نسبياً من المهاجرين تتمثل في الاستثمار بالأجيال اللاحقة من أبناء المهاجرين، حيث يكونون أكثر قابلية على الاندماج بحكم اتقان اللغة والتعليم وتشرب ثقافة بلد المهجر وقوانينه. وعلى النقيض من ذلك فإن البلد الأم سيخسر ذوي الكفاءات والمؤهلين من أبنائه.

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Ali-ImmigrationFromIrak.pdf

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/
المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 22 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2023

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2023.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2024 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2024

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتنا